

الطريقة الصحيحة في الدعوة إلى الله

لفضيلة الشيخ

ربيع بن هادي المدخلي

[شريط مفرغ] 

أعده هذه المادة

سالم بن محمد الجنايدي

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

أما بعد، فإنها لفرصة طيبة مباركة أن نلتقي بإخواننا وأبنائنا في بيت من بيوت الله، نتذكر أمرا مهما من أمور ديننا، ألا وهو: الدعوة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وطرقها الصحيحة التي قد يجهلها كثير من يخوضون في ميادين الدعوات، ويحيدون عن هذه الطرق الصحيحة.

سادة الدعوة وأئمتهم وقادتهم هم الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فالذي يريد أن يعرف الطرق الصحيحة للدعوة إلى الله فليتأمل قصص هؤلاء الرسل الكرام سادة الدعوة عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وليدرس سيرة هذا النبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من القرآن نفسه ومن السنة النبوية المطهرة التي حفظها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وبقيت منارا مع القرآن لهذه الأمة تهتدي بها في كلِّ شؤون حياتها، وعلى رأس ذلك الدعوة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فيما أوحاه إلى هذا النبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قوله عزَّ وجل: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)﴾ [يوسف: ١٠٨]، سبيله ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾ سبيل التوحيد، وهي سبيل الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذين ما بعث الله نبيا ورسولا منهم إلا دعا إلى

توحيد الله وإخلاص الدين لله عز وجل، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، لخص تأريخ الرِّسالات كلها في هذه العبارات الموجزة المعجزة، عظيمة جدا من أول رسول إلى آخرهم، هذا منهمجهم، وهذه دعوتهم عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يدعون الناس إلى توحيد الله ونبد الشرك والطواغيت.

هذه الدَّعوات الموجودة في السَّاحة الآن كثير منها - لا نقول كلها - لا يرفعون رؤوسهم بهذا المنهج العظيم الذي شرعه الله لجميع الرسل من أولهم إلى آخرهم ولم يجد أحد منهم أبدا عن هذا الطريق، ولن يجيدوا، وحاشاهم ونزَّههم الله عز وجل أن يميلوا يمنة أو يسرة عن هذا المنهج العظيم الذي تأباه وتهرب منه كثير من الدَّعوات التي ما زادت الأمة إلا خبالا، وما زادهم إلا وبالا، وما زادهم إلا ذلا وهوانا؛ لأنهم لم يسلكوا الطَّريق الذي شرعه الله لأنبيائه ولهذه الأمة إلى قيام الساعة.

ولقد بُنِيَ كثير من رؤوس هذه الدَّعوات إلى أنهم قد حادوا وابتعدوا عن هذا المنهج العظيم ومع الأسف الشديد تمضي الأيام والليالي والشهور والسنين ولا تنفع فيهم هذه القوارع من كتاب الله ومن سنة رسول الله، ومن تنبيهات الدَّعاة الدَّاعين إلى منهج الرسل الكرام عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. فيا أيها الدعاة أفيقوا، واتقوا الله في أنفسكم، واتقوا الله في هذه الأمة الضائعة إلا من حفظ الله منها، سبيل الله واضح ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ لا إلى منصب ولا إلى جاه ولا منهج سياسي ولا منهج صوفي ولا خرافي، منهج الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ودعوة قائمة على العلم، وليس على التخرصات، ولا على الجهل والهوى، وإنما هي قائمة على البصيرة والعلم، ووراث الأنبياء هم العلماء الذين فقهوا دين الله، فقهوا رسالة الرسل الكرام عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقهوا كتاب الله وسنة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، واتبعوا في دعوتهم سنن الله الشرعية والكونية.

فالعلماء هم ورثة الأنبياء، وليس كل عالم وارث؛ بل من اقتفى أثرهم وسلك سبيلهم في عقيدته ومنهجه ودعوته وولائه وبرائه، هؤلاء هم ورث الأنبياء؛ لأنهم عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أقاموا حياتهم على هذه الدَّعوة وعلى هذه العقيدة عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أوقفوا حياتهم لهذه الدَّعوة العظيمة القائمة على الوحي، والوحي هو العلم، وأتباع الرسل وخاصة محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أهل العلم وورثة هذا النبي الكريم وورث الأنبياء، ورثوا عنهم العقيدة الصحيحة، ورثوا منهم طرق الدَّعوة إلى الله، ورثوا منهم الحكمة، ورثوا منهم الصبر على الأذى، ورثوا منهم كل متطلبات

الدعوة، فهؤلاء هم أهل البصيرة، دعوة إلى توحيد الله، دعوة إلى منهج الله، براءة من الشرك، وسبحان الله تترىه لله عز وجل من كل النقائص ومن الشركاء ومن الأنداد، وبراءة ممن يتخذ مع الله أندادا أو يحيد عن هذا المنهج، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ويقول: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أنا لم أفر على الله تبارك وتعالى ولم ألتزم معه أندادا، وإنما أنا أدعو إلى توحيد الله وعبادته، وإخلاص الدين له، معتمدا في ذلك على العلم والبصيرة التي أوحاها الله إليّ، وأخذها عني أتباعي ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ... أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ قالوا: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ معطوف على الضمير المستتر في ﴿أَدْعُو﴾، ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ... أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ سلك منهاجي على بصيرة على علم.

فلا يجوز لأحد أبدا أن يدعو إلى الله بغير علم، ولا يجوز لأحد أن يخالف هذا السبيل ولو كان عنده علم؛ بل سبيلي هي سبيل معينة ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾ القائمة على العلم، سبيل هي سبيل الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، دعوة إلى توحيد الله، ودعوة قائمة على العلم، ودعوة تتبرأ من الشرك بالله، وتتره الله عن الشركاء والأنداد - الشركاء في الربوبية أو الشركاء في الألوهية - تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

فهذه دعوة الأنبياء، وهذه هي طريقتهم، وطريقة خاتمهم عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، دعوة إلى توحيد الله قائمة على العلم تحذر من الشرك وتتره الله تبارك وتعالى عنه، وتنوّه بوراث الأنبياء العلماء المتّبعين لهذا السبيل والداعين إليه على علم، وهي البصيرة.

فيا أيها الدعاة إلى الله، علينا أن نفقه كتاب الله، وأن نفقه منهج الله، وأن نفهم منهج الرسل الذي شرعه الله لهؤلاء الرسل الكرام عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وتنوّه به هذه الآية العظيمة، وتُركت هذه الآية نبراسا ومنارا للدعاة إلى الله تبارك وتعالى.

فلنستعرض الآن الدعوات الموجودة في الساحة، هل هي تدعو إلى هذا السبيل ولا تحيد عنه؟ وهل هي قائمة على المنهاج النبوي، وعلى العلم الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم؟

رسول الله كم دعا؟ نوح كم دعا؟ إبراهيم، موسى، عيسى، صالح..، غيرهم إلى ماذا دعوا؟ وكم لاقوا من الأذى؟ وكم لاقوا من المحن؟ لأجل أي شيء لأجل المناصب؟ لأجل التصوف؟ لأجل أي منهج من المناهج الفاسدة الموجودة الآن التي تُلصق بالإسلام، والإسلام بريء منها، وشعارات طنانة، تأخذ بمجامع القلوب؛ ولكنها والله جوفاء نحن لا نقول هذا الكلام سبا؛ لكن نحن نريد أن ينتبه

هؤلاء؛ لأنهم ضيعوا أنفسهم وضيعوا الأمة بهذه الطرق التي تخالف سبيل الله وسبيل الأنبياء وعلى رأسهم محمد صلى الله عليه وسلم.

هذه لفظة حول هذه الآية، وأن هناك سبيلاً معيناً يجب أن يسلكه الدعاة إلى الله، وأن هناك علماً مشروطاً في الداعي إلى الله عز وجل أن يكون عالماً، لا يتزل الساحة أي جاهل، يؤخذ من الشارع ويلقن كلمات فارغة، ثم يقذف به إلى المنابر، ويقذف به - ما شاء الله - لتصدر الأمة وقيادتها وتوجيهها، فتضيع الأمة بمثل هذه الدعوات ((وإن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعاً من صدور الناس، بعد أن أعطاهموه؛ ولكنه يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا))،^(١) أهل الجهل لا ينفعون الأمة يضرونها، يضلون أنفسهم ويضلون الناس، وماذا يترتب على هذا الضلال والإضلال من الضياع في هذه الحياة الدنيا، والله أعلم ما هي العواقب في الآخرة لآثار هذا الجهل وهذا الضلال، إنها والله وخيمة، وإنها والله خطيرة.

فيا معشر الشباب أعدوا أنفسكم لأن تكونوا ورث الأنبياء، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يورثوا إلا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر، والعلم هذا من أعظم غاياته الدعوة إلى الله تبارك وتعالى وإصلاح عقائد الناس، وإصلاح حياتهم تبعاً لإصلاح العقيدة.

وما من نبي جاء إلا وفي الأمم من الفساد العريض ما لا نهاية له، ومنها الفساد العقائدي، فمما إذا يبدأ هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟ لا يبدؤون بالإصلاح الاقتصادي، ولا بالإصلاح السياسي، ولا بالإصلاحات الاجتماعية التي يسمونها، يبدأ بالعقيدة وإصلاح العقيدة، وإذا صلحت هذه العقيدة انقاد الناس لإصلاح كل جوانب الحياة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقل ما شئت، وإذا لم تصلح العقائد فلن تصلح الأمة أو الناس جميعاً في أي ميدان من الميادين؛ لأنها ما عندها أصل، إذا فقدت الأصول ضاعت الفروع، الأصل هو العقيدة، وهذه الأعمال كلها وهذه النواحي كلها مرتبطة بالعقيدة وتابعة لها، فإذا كان الأصل مفقوداً أو فاسداً كيف نستطيع أن نصلح

(١) البخاري: كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، حديث رقم (١٠٠).

مسلم: كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، حديث رقم (٢٦٧٣).

الجوانب الأخرى، هذه الحقيقة يجب أن يعيها العقلاء من الذين يريدون لهذه الأمة الخير، ويريدون لها السعادة، ويريدون لها الصلاح.

هذا المنهج الصحيح في إصلاح هذه الأمة وغيرها، الأمة لاشك أنها طرأت عليها عوامل كثيرة، فسدت بها تصوراتها وعقائدها ومناهجها، وتحتاج إلى حشود من العلماء من طراز ابن تيمية، لا من طراز فلان وفلان؛ لإصلاح هذه الأمة والعودة بهم إلى ما كان عليه الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والصحابة الكرام، من عقائد ومناهج وأخلاق، وكل ذلك تابع للإصلاح العقائدي والمنهجي.

من الآيات التي يمكن أن نذكرها في هذا الباب وهذا الموضوع قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)﴾ [فصلت: ٣٣-٣٥]، لا أحد أحسن ممن دعا إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وعمل، وهذا تنبيه إلى ما تستلزمه الدعوة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أن تكون إلى الله لا لأغراض شخصية، ولا لمصالح، ولا لمناصب، ولا لأمر من الأمور، إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والذي يدعو إلى الله لا بد أن يلتزم العقيدة التي شرعها لجميع الأنبياء، ولا بد أن يلتزم المنهج الذي شرعه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لتبليغ هذه الدعوة، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يدعو ويعمل، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَأَكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨]، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣)﴾ [الصف: ٣]، ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]، هذه الآيات يجب أن يستفيد منها الدعاة، وأن يكونوا من أشد الناس التزاما بدعوتهم، وأشد الناس حرصا على تطبيقها باطنا وظاهرا، وخالصة؛ هذه الأعمال لله، لا يراد بها إلا وجه الله، ثم حماية هذه الدعوة من أن يتطرق إليها الفساد، وأن يُساء الظن بهذا الداعي من أنه يدعو إلى شيء هو لا يعمل به، ولهذا يدخل رجل في النار فتندلق أفتابه؛ تخرج أمتعاه وتسقط في الجحيم فيحيط به الناس: يا فلان ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت آمركم بالمعروف، ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية. ^(١) فهذا مصير

(١) البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، حديث رقم (٣٢٢٧).

مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله، حديث رقم (٢٩٨٩).

من يدعو إلى الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لكن ما فيه عمل، فيه مخالفات، فيه انحرافات، فيه خروج عن المنهج الذي شرعه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، الشرع فرض العمل، كيف تدعو وما تعمل، كيف تدعو الناس ثم تتهرب من العمل؟ فيكون جزاء ومصير من يدعو إلى الله وهذا حاله، يأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويأتيه، هذا مصيره أن يكون أضحوكة لأهل النار. فنعوذ بالله أن نقول ما لا نفعل، وحذار حذار أن يراك الناس داعيا إلى الله وأنت لا تلتزم بما تدعو إليه، وهذا يوجد.

فنسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يوفق الدعاة إلى الله عز وجل للدعوة إلى الله بعلم وبصيرة على منهج الأنبياء، والالتزام بدعوتهم والالتزام بهذا المبدأ مبدأ العمل الذي يترتب على إهماله البلاء العظيم. أولا انحراف الناس، الناس لما يرونك تدعو ولا تعمل، فهم أشد الناس انحرافا منك، وأشد الناس ابتعادا عن تطبيق ما تدعو إليه، تدعو ولا تطبق ولا تعمل، كيف يعمل أتباعك! ولهذا ترى كثيرا من الدعاة فاسدين وأتباعهم أفسد منهم، هذا من آثار دعوتهم الفاسدة دعوتهم المنحرفة، فينحرف الناس وراءهم، هذا الانحراف حصل في اليهود، حصل في النصاري، حصل في الروافض، حصل في الصوفية، حصل في الأحزاب السياسية، حصل.. حصل... لماذا؟ لأن هذا الذي يقودهم يقودهم إلى قول بلا عمل، فهم يركضون وراءه، والناس أتباع كل ناعق ويغلب عليهم التقليد الأعمى إلا من حفظ الله، كما قال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((**الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة**))^(١) إلا من يحفظه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ويوفقه، ويجد من يسدده، ويأخذ بيده، غير هذا الفاسد غير هذا المنحرف الذي يدعو ولا يعمل.

وقال: ﴿وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يعني أنا من هذه الجماعة التي أسلمت لله، واستسلمت لله وانقادت لله، فلا يغير هذه الجماعة، ولا يفارقها، ولا يخالفها، ولا يشذ منها، أنا من المسلمين قلبا وقالبا ودعوة ومنهج، من الذين أسلموا لله وانقادوا لله، لا من هم الذين أسلموا بالاسم، لا، المسلمين حقيقة الذين أسلموا لله وانقادوا له، واتبعوا رسله في عقائدهم وفي مناهجهم وفي أخلاقهم،

(١) مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة، حديث رقم (٢٥٤٧).

من هذا الصنف الراقى، المسلم لله لا يسلم لأحد غير الله، لا ينقاد إلا لله أو لرسول الله عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ شتان بين الحسنة والسيئة؛ يعني إذا أساء إليك من باب الأدب تأخذ حق؛ لكن من باب الفضل ومن أجل هذه الدعوة ينبغي أن تتحلى بالحلم وتتحدى بالصبر، وتعفو وتصفح ولا تنتقم، ولا تقابل السيئة بالسيئة، بل كافئ السيئة بالتي هي أحسن، أحسن إليه، يكون لذلك آثارا طيبة جدًا في نفسية هذا الذي أساء إليك.

وكم سيلاقي الداعي إلى الله من الإساءات، فإذا تذرع بالصبر والحلم والعقل والأخلاق العالية فإن ذلك هو الأمر الذي تستلزمه الدعوة وتنجح به الدعوات.

﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ من آثار هذا الإحسان.

يذكر لي عن داعية كان يشبهه بابن تيمية في الذكاء والعلم والحفظ ودخل الألوף بسببه من الكفار في الإسلام، كان لا ينتقم من أحد أبداً، ويكافئ السيئة بالحسنة، حتى قيل: أنه جاءه فاجر وضربه بمعول في رأسه حتى كأنه مات، ضربة موت، فأغمي عليه والأمن اقتادوا هذا الجاني، وأودعوه السجن، هذا مغمى عليه لا أدري كم حتى أفاق، أول ما سأل عن هذا الذي ضربه، أين ذهبوا به؟ قالوا: السجن. قال: أبدا لا أرض بسجنه، فكوه من السجن.

أبت الدولة إلا سجنه فكانت الدولة تنفق على أسرته، ينفق على أسرة هذا المجرم، حتى خرج من السجن، وجاء رأسا إلى هذا الرجل ودخل في دعوته وصار من خيار أتباعه.

فهذه الأمور ينبغي أن يتحلى بها الدعاة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ لا يوفق لهذه الخصال النبيلة:

دعوة إلى الله، صبر، عفو، حلم، بعد عن الانتقام؛ بل مكافأة السيئة بالحسنة بالتي هي أحسن، فتكون لها هذه الآثار الطيبة، ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

ثم بين الله منزلة هؤلاء الذين يَحْضُونَ بهذه الأخلاق أنهم أهل صبر وأنهم أولوا حظ عظيم عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فهذه من طرق الدعوة، ومن أساليب الدعوة، من الأساليب والطرق الناجحة التي إذا استخدمها الدعاة إلى الله: العلم والصبر والانتماء إلى الإسلام والحرص على جمع كلمة المسلمين.

إخوة الناس يهتمون الدعوة السلفية بأنها تفرق، والله لا أعلم دعوة من هذه الدّعوات الموجودة التي تخاصم المنهج السلفي أحرص من الدعوة السلفية على أن تكون الأمة كلها أمة واحدة، وأن يكونوا كلهم مسلمين منقادين إلى الله عز وجل، ولهذا يدعون إلى الاعتصام بحبل الله وإلى الرجوع إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله، بخلاف غيرهم ما عندهم هذا، ما عندهم فهم ضمنا إن لم يصرحوا بذلك يقولون هذه الاختلافات، وهذه الصراعات، وهذه التفرقات، وهذه التمزقات في الأمة، بينما الدّعوة السلفية لا تقر شيئا من هذا أبدا، لا تقر هذا التفرق، وتنادي كل المسلمين أن يعتصموا بحبل الله، وأن يعودوا إلى دين الله الحق، الذي نزل بهم بسبب مفارقتهم لكثير من أصوله وفروعه ونصوصه، نزل بهم من الذل والهوان.

والذي يدرك حملة المنهج السلفي أنه لا يرفع الله عن هذه الأمة هذا الذل والهوان الذي تعيشه، لا يُرفع عنها إلا إذا عادت إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ،^(١) وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَاتَّبَعْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ^(٢)، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَتْرَعُهُ عَنْكُمْ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ))^(٣) آمنا بالله وصدقنا رسول الله، وندعو المسلمين جميعا أن يؤمنوا بكل النصوص القرآنية والنبوية وأن يضعوا لهذا النص النبوي اعتبارا عظيما ويحسبوا له ألف حساب، وليوقنوا في قرارة أنفسهم أن كل الشعارات وكل الأساليب والحلول لا يمكن أن تحل مشاكل المسلمين، ولا تدفع هذا الذل عن صدورهم، هذه الكوايب على صدور المسلمين لا يرفعها إلا أمر واحد وهو يسير على من يسره الله عليه هو أن يعودوا إلى ما كان عليه رسول الله وأصحابه إلى القرآن والسنة.

(١) قال الشيخ الألباني في الصحيحة تحت حديث رقم (١١): (العينة): أن يبيع شيئا من غيره بثمن مؤجل، ويسلمه للمشتري، ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن أقل من ذلك القدر يدفعه نقدا، قال شيخ الإسلام: هذا مع التواطؤ يبطل البعين لأنه حيلة.

(٢) قال أحمد شاكِر: يريد أنهم تفرغوا للزرع وأذلوا أنفسهم للأرض وتركوا الجهاد، كما في رواية أبي داود (وأخذتم أذنان البقر ورضيتم بالزرع) وهذا شيء مشاهد ظهرت آثاره في المسلمين حين صاروا عبيد الأرض والزرع؛ بل هو ظاهر في كل أمة استعبدها الأرض وقصرت نفسها على الزرع، والجهاد هو ملاك الأمر كله في الإسلام، رضي عبيد أوربة أم أبوا.

(٣) سنن أبي داود: كتاب البيوع، باب في النهي عن العينة، حديث رقم (٣٤٦٢).

أورده الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (١١) وقال: هو حديث صحيح. مجموع طرقه، ومن صححوه: ابن تيمية في مجموع فتاويه، وابن القطان الفاسي، وابن كثير في تفسيره، وابن القيم في الداء والدواء.

ومن وجه آخر مسند أحمد (بتحقيق أحمد شاكِر): حديث رقم (٤٨٢٥)، قال أحمد شاكِر: إسناده صحيح.

عرفنا هذا! مستحيل أن يترع عن هذه الأمة لو اجتمعت قوى الدنيا كلها لترع هذا الذل، عن المسلمين لا يترع كيف وقوى الدنيا كلها تجتمع لإنزال الذل والهوان بهذه الأمة، فلو اجتمعت هذه الأمم وتحولت إلى شفقة ورحمة بالمسلمين ما يستطيعون.

شيء واحد الذي يرفع هذا الذل عن المسلمين: هو أن يعودوا إلى كتاب الله وسنة رسول الله، إلى العقائد الصحيحة التي جاء بها الأنبياء عليهم الصلوة والسلام، إلى المناهج الصحيحة التي جاء بها هذا الرسول الكريم عليه الصلوة والسلام، الذي هيمن كتابه على كل الكتب وعلى كل الرسائل، نحن مستهينون بكتاب الله وسنة الرسول، ونأنف من حيث لا ندري من الرجوع إلى هذا الكتاب وإلى هذه السنة وإلى تطبيق السلف الصالح، نرفض، والله كثير من الناس يحولون بين هذه الأمة وبين العودة، ويضعون العقبات والعراقيل الكثيرة في طريق العودة إلى الله.

السلفي يقول: تعالوا إلى الكتاب والسنة. يقول: لا، إلى طائفتنا، إلى حزبنا، إلى طريقتنا، إلى.. إلى.. إلى.. الحق عندنا، الرافضة يقولون: الحق عندنا، الصوفية بمختلف طرقهم؛ مئات الطرق كل طريق تقول: الحق عندها، الأحزاب كل حزب بما لديهم فرحون، كلهم مشتركون يجمعهم شيء واحد أنهم عقبات في طريق عودة المسلمين إلى كتاب الله وسنة رسول الله واستئناف حياة إسلامية صحيحة تعيد لهم العزة والكرامة، الربا الآن متفشي في الناس، ((إذا تبايعتم بالعينة)) هذا إشارة إلى الربا وإلى كل أنواع الربا الموجودة في الساحة، المعاصي، الإقبال على الدنيا والشهوات.

هذا حديث عظيم جدا يجب أن نتدبره وتفقهه، كيف ((وأخذتم أذناب البقر))؟ نسوا العلم، ويتركون الصلاة ولا يعرفون العقائد ولا يعرفون الكثير من الحلال والحرام ولا ولا...

فنحتاج حياة علم، العلم بكتاب الله وسنة الرسول، ثم عمل بهذا العلم، علم عمل ودعوة، بالعلم والعمل الصالح رجعنا إلى دين الله الذي قال عنه رسول الله عليه الصلوة والسلام: ((حتى ترجعوا إلى دينكم))، لا إلى العقائد الصوفية، والعقائد الأشعرية والعقائد الجهمية، والعقائد الاعتزالية، والخرافات والبدع الصوفية، هذه كلها الإسلام بريء منها، العقائد تستمد من القرآن، والأعمال والأوامر والنواهي تستمد من القرآن والسنة.

إذا عدنا إلى هذا فالحمد لله، استعدنا ما فقدناه، ورفع عنا هذا الذل والهوان.

كيف ترفع رايات للجهاد لا تعرف لا إله إلا الله، وتدعو إلى وطنيات، **((وتركتم الجهاد في سبيل الله))**، كثير من الجهاد الموجود ليس في سبيل الله، في سبيل الوطنية والقومية وشعارات، الجهاد يشترك فيه الشيوعي والرافضي والباطني والعلماني، هذه رايات إسلامية؟ هذا جهاد في سبيل الله؟ إذن لابد من تربية الأمة على كتاب الله وسنة رسول الله لتقاتل لإعلاء كلمة الله، **((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله))** هذا رجل يسأل: رسول الله، إذا فعلت وفعلت هل أنا في سبيل الله؟ قال: **((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهي في سبيل الله))**^(١) هؤلاء كل حزب يقاتل لتكون كلمته هي العليا، كل طائفة تقاتل لتكون لها السيادة، هذه ليست كلمة الله، أبدا، هذا يقاتل مع الرسول وله راية غير راية الرسول، في النار، قاتل هزم الجيوش الكافرة، قال هو في النار، لماذا؟ ما يقاتل لإعلاء كلمة الله.

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ورحمه، زحف التتار على الشام فاستقبلهم أهل الشام ليجاهدوهم،

يا خائفين من التتر لو ذوا بقبـر أبي عمر
لو ذوا بقبـر أبي عمر ينجيكم من الضرر

قال: سوف تهزمون، وهؤلاء الذين تدعونهم لو خرجوا معكم لهزموا. قال: وكثير من العلماء ما شارك في هذا الجهاد لأنه غير شرعي.

إذا كان قادة الجيوش يقولون:

يا خائفين من التتر لو ذوا بقبـر أبي عمر

هذا ليس جهادا في سبيل الله، الآن هذا شيوعي، هذا علماني، هذا رافضي، هذا باطني، ما شاء الله، القوميات أحزاب وضلالات، ليس في سبيل الله.^(٢)

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، حديث رقم (٢٨١٠).

مسلم: كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، حديث رقم (١٩٠٤).

(٢) أنظر تفصيل ذلك في "الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة" تأليف العلامة الشيخ عبد الله بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله.

ربّوا الأمة هذه على كتاب الله وسنة الرسول وارفَعوا شعار لا إله إلا الله، وقاتلوا من أجل لا إله إلا الله، قاتلوا من أجل التوحيد، وليس من أجل الشعارات الحزبية الضالة، والشعارات الطائفية الضالة.

جهاد، جهاد، جهاد، جهاد.. ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٢٢) [الفتح: ٢٢]، هذا الوعد لمن؟ للشيوخ والعلمانيين؟ وإلا لأصحاب محمد ومن سار على نهجهم؟

أما أصحاب محمد فإذا قاتلوا الأعداء فروا أمامهم، ينهزمون شر الهزائم، في بدر، في حنين، في أحد، في كل المواقع، الظفر ملازم ولو حصل جولة في حنين؛ لكن العاقبة للمتقين الموعودين بهذا النصر، ﴿لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾، الآن المسلمون هم الذين يولون الأدبار وتداس كرامتهم في أوطانهم، والسيادة والغلبة والقهر والعزة والكرامة لأعداء الله. الغنائم من جيوب المسلمين، هؤلاء يغنمون من جيوب المسلمين ما يغنمون من جيوب الكفار.

كان الجهاد تسعد به الأمم الفاتحين والمفتوحين، يسعدون بهذا الجهاد الآن بهذا الجهاد الذي يقوده الجهال والسفهاء، وإذا تكلم العلماء شنوا عليهم الغارة، وتحرك الإعلام الحسيس لإسقاط العلماء، تحرك، إعلام رهيب، يجيدون الإعلام لكن علم ما فيه، فيقولون: الطريقة كذا، والطريقة كذا، فيسيئون بهم الظن، ويوجهون لهم الاتهامات، لأنهم جهال وعميان وأصحاب أهواء، ويرون هكذا:

وما أنا إلا من غزوة إن غوت غويت وإن ترشد غزوة أرشد
والله بهذه الطريق العوجاء والله ما ينهزم الأعداء، ولا تتحقق الوعود الربانية، ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ﴾، والآن لو قاتلتهم الذين كفروا لوليتم الأدبار ثم لا تجدون وليا ولا نصيرا، أبدا تذهبون إلى الأمم المتحدة، تذهبون إلى أمريكا، تذهبون إلى فلانة وفلان، كلها هذه لا تنفعكم.

اتجهوا إلى الله تبارك وتعالى، أخلصوا لله واتجهوا إلى الله تبارك وتعالى، الرسول صلى الله عليه وسلم في بدر رفع يديه حتى سقط رداؤه يدعو الله تبارك وتعالى، لا يستجير بأحد أبدا، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ (٩) [الأنفال: ٩]، استنجد

بالله واستغاث به، وما اتجه إلى الناس يستغيث بهم ويستنجد بهم، فنصرهم الله وهم قلة، ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ [الأنفال: ٢٩]، الله آواهم وهم قلة ومستضعفون، لكنهم في كنف الله وفي رعايته، فأنزل عليهم النصر وأمدهم بالملائكة، ونحن لو سلكنا هذا المسلك، واتجهنا إلى الله وحده ويئسنا من البشر، أخلصنا ديننا لله، والتجأنا إلى الله وحده في الشدة والرخاء، والله لن يضيعها ولن يخلف وعده إنه لا يخلف الميعاد.

الأمر يتداخل شيئاً فشيئاً لأن الحياة تفرض علينا مثل هذا الأسلوب، حياة المسلمين مؤلمة جداً، ومن أخطر الناس على حياة المسلمين دعاة الشر والسوء والبدع والضلالات والأهواء، هم أشد الناس بلاء على هذه الأمة، وأشد الناس خطراً على هذه الأمة، فعليهم أن يتقوا الله، وأن يفهموا كتاب الله، وأن ينصحوا الله، وأن ينصحوا للمسلمين هذا الذي يجب، الغش لا يجوز لا في دين المسلمين ولا في دنياهم، الغش موجود، المغالطة موجودة، التلاعب موجود؛ التلاعب بالعواطف موجود، دغدغة العواطف العمياء موجود، يجب أن نواجه الناس بحقائق الإسلام وبأنوار الإسلام وبهداية الإسلام وبهداية القرآن والدعوة إلى إتيان أوامره واجتناب نواهيه وتصديق أخباره، والإيمان الصادق بما فيه من عقائد في أسماء الله، وفي صفاته، إخلاص العبادة لله عز وجل، التوحيد على طريقة الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هذه هي الدعوة الصحيحة التي سار عليها الأنبياء، ويجب أن يسير عليها المسلمون، ومن حاد عنها، فوالله ما أمامه إلا الدمار في الدنيا والآخرة، عقوبة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لمن يتنكر هدايته وطريقته وهديه.

ذكرنا -يا إخوة- أن العلم أساس في هذه الدعوة -دعوة الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وحث الله على العلم، وبيّن فضل العلم وبيّن فضل العلماء، وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وجاءت أحاديث كثيرة مروية تبين فضل العلم وتبين فضل طلاب العلم، وتبين أن ورثة الأنبياء هم العلماء -العلماء العاملون المخلصون الصادقون-.

بعد هذا العلم بعد هذا العمل نحتاج إلى إخلاص، نحتاج إلى إخلاص لله رب العالمين في الأقوال والأعمال والحركات في ميدان تحصيل العلم وميدان تبليغه، في ميدان الدعوة إلى الله لا بد من الإخلاص لله رب العالمين.

فإذا أخلص لله طالب العلم تضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإذا طلبه لأجل الدنيا لم يرح رائحة الجنة، من طلب علما مما يتغنى به وجه الله لغرض من أغراض الدنيا لم يرح رائحة الجنة، لا يشم رائحة الجنة هذا وعيد شديد لمن لا يخلص في طلب العلم الشرعي، فيجب أن يستحضر المسلم هذا الوعيد في كل لحظة من لحظاته.

قال أحد العلماء من علماء الحديث ومن كبار بني العباس سليمان بن داود الهاشمي رحمه الله وكان من أقران أحمد، وكان أحمد يجله، ويقول: إنه يصلح للخلافة، قال: كنت أرى أنه لا بد من النية في الحديث -يعني في الجملة- ثم تدبرت فإذا أنا أرى أنه لا بد لكل حديث من نية.

وكان السلف يعانون من هذا الأمر، يعانون معاناة شديدة، لأنهم أحياء قلوبهم حية يقظة، عندهم إحساس، لأن الشيطان يدخل من كل ثغرة، وهو يجاهد يسد هذه الثغرة، يسد هذه الثغرة فيحول عمله هذا إلى رياء، والرياء خطير جدا من صفات المنافقين، ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)﴾ [الماعون: ٤-٧]، ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالاً يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢)﴾ [النساء: ١٤٢]، فالحذر الحذر من الرياء.

وهناك حديث أن ((أول من يقضى عليهم ثلاثة: رجل استشهد فيؤتى به إلى الله تبارك وتعالى فيعرف نعمه فيعرفها، فيقال: ماذا عملت فيها؟ فيقول: جاهدت فيك حتى استشهدت، فيقال: كذبت، إنما قاتلت ليقال جري، وقد قيل. يؤمر به فيسحب على وجهه فيلقى في النار.

ورجل تعلم العلم والقرآن وعلمه، فيؤتى به فيعدد الله نعمه ويقول: ماذا عملت فيها؟ فيقول: تعلمت فيك العلم، وقرأت فيك القرآن، وأقرأته، فيقال له: كذبت، إنما تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ. فيؤمر به فيسحب على وجهه إلى النار)).^(١)

كيف، هذا يجاهد حتى يقتل، وهذا ما شاء الله حياته كلها جهاد بالعلم وبعدها تعليم، وبعدها قرآن، ثم تكون هذا نهايته، ما السبب؟ السبب أنه ما أخلص لله، ما أراد وجه الله تبارك وتعالى، لا بعلمه، ولا بعمله، ولا بدعوته، غرضه دنيء أن يقال: عالم، أن يقال: قارئ وأن يقال: مقرئ.

(١) مسلم: كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، حديث رقم (١٩٠٥).

فاحذروا أيها القراء وأيها العلماء وطلاب العلم ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)﴾ [فاطر: ٥٦]، والمراؤون من حزبه، ويكون هـذا مصيرهم.

فحذار حذار، ونعوذ بالله، ونسأل الله أن يعافينا وإياكم.

وآخر ثالث أعطاه الله من أصناف المال، فعَدَّدَ الله عليه نعمه فعرّفها، فقال: ماذا فعلت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. فقال: كذبت إنما فعلت ذلك ليقال: هو جواد وقد قيل. ^(١) يعني أنت تحب السمعة، تحب المدح، تحب الإطراء، قال الناس: فلان جواد، فلان شجاع، فلان قارئ، فلان عالم، قد قيلت هذه الأشياء كلها، ما هي النتيجة؟ النتيجة أن يسحب على وجهه فيلقى في النار، أمر يتساهل فيه الناس ويغفلون عنه فتكون هذه النتائج الوخيمة.

فانتبه أيها المسلم، وكن يقظاً في صلاتك لا ترد بها إلا وجه الله، في طلبك للعلم لا ترد به إلا وجه الله، في أمرك بالمعروف، في نهيك عن المنكر، في دعوتك إلى الله، فيما تقول، فيما تكتب، اتق الله في نفسك، واخلص لله، واعلم بأن هذه عبادات أنت مأمور فيها بالإخلاص، فإذا أنت خالفت أوامر الإخلاص هلك، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ (٥)﴾ [البينة: ٥]، فهذه المتطلبات، العلم والدعوة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ينبغي أن نهتم بها كل الاهتمام، وأن نراعيها، مما أرشدنا الله إليه في سبيل الدعوة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قول الله عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿ادْعُ﴾ أنت عالم أدع إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا إلى مصالح وأغراض شخصية، و﴿بِالْحُكْمَةِ﴾ الحكمة وضع الشيء في موضعه؛ يعني خاطب جاهل بقدر ما يفهم حتى لا تكون فتنة، خاطبوا الناس على قدر ما يعقلون أتريد أن يكذب الله ورسوله.

مثلاً إنسان يريد الحق قدم له الموعظة بالعلم الأمر والنهي يكفيه، يريد الخير، ما يحتاج منك محاضرة مجادلة لا شيء هذا المقدار يكفيه، لا تدخل معه في الجدل وتفتح معه باب الجدل ولا تدخله في أمور أخرى.

(١) تم تخرجه في الصفحة (١١).

فإذا كان إنسان غافل معرض عظه، هُذا حاله يتطلب منك بعد الأمر والنهي تبليغ دعوة الله، ترى فيه شيء من الركود حركه بالموعظة الحسنة، لا أي موعظة لا بد أن تكون حسنة، قال الله قال رسول الله، بين له، خوفه عقاب الله عز وجل، هناك نار، هناك جنة، هناك درجات في الجنة، هناك درجات في النار، مصير الكافرين كذا، مصير العصاة كذا، يحتاج شيء يشد انتباهه يوقظه من هذه الغفلة -بارك الله فيك- وينقذه من هذا الإعراض.

واحد مستكبر معاند، تقدم له النصوص، تبين، تشرح، لكن يجادل تجادله بالتي هي أحسن، تسوق النصوص الشرعية من كتاب الله وسنة الرسول، بين له، إذا استجاب فالحمد لله، بالحكمة والموعظة الحسنة.

فإن أبي فيقول ابن القيم: بعدها المجالدة، يعني إذا كان كافر نسل السيف له، ندعوا هُذا الكافر إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فإن دخل قلنا: الحمد لله هُذا المطلوب، فإن أبي فالجزية فإن أبي نسل السيوف على هؤلاء الكافرين، هُذا معنى قول ابن القيم الجلال، فبعض الكفار مسكين غافل تقول كلمة يسلم، وبعضهم معرض يحتاج إلى تخويف يتحرك يدخل في الإسلام، واحد معاند جادل بالتي هي أحسن، إذا استلزم الأمر إعلان الجهاد، إعلان الجهاد، هُذا من الحكمة التي تتطلبها الدعوة.

وأيضا من متطلبات الدعوة الترتيب في أمور الدعوة، والتدرج فيها، والبداية بالأهم فالأهم، ليس فقط أَدْعُ أَدْعُ!! بعدها تمسك آخر شيء من الإسلام، والإسلام ليس فيه آخر، لكن فيه مراتب، وفيه درجات، من أين يبدأ الأنبياء، من أين بدأ المصلحون، يبدأون بتصحيح العقائد.

ولهذا لما أرسل رسول الله معاذًا إلى اليمن قال له: ((**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ**)) عندهم توراة فيها توحيد وفيها لا إله إلا الله وفيها كذا؛ لكن علماء السوء أفسدوا عقائدهم، فنصح عقائد هؤلاء الكتابيين، كيف؟ نبدأ بهم من النقطة الأولى من منطلقات الأنبياء الدعوة إلى التوحيد، ((**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فَإِنْ أَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ**))^(١) انتقل بهم إلى أصل آخر من أصول الإسلام العظيمة ألا وهي الصلاة، وهي عماد الإسلام، فابدأ بعد التوحيد بدعوتهم إلى هُذا الركن العظيم، وهو الصَّلَاة التي هي عماد الإسلام، ثم إذا استجابوا انتقل بهم إلى الزكاة، ثم تصبح النفوس مهية بعد ذلك للحج وللصيام ولغيره من الأعمال.

(١) مسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم (١٩).

هذه هي الطريقة النبوية التي أرشد إليها رسول الله وكان يبعث البعوث ويلقنهم مثل هذه الدعوة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فيجب أن نفقه هذا الحديث فإنه منهج عظيم في الدعوة إلى الله. أنت الآن في بلاد إسلامية، فيها خرافات، فيها قبور، فيها بدع، فيها فقهاء ما يعرفون معنى لا إله إلا الله، لا إله إلا الله عندهم لا خالق لا رازق.. إلا الله، فنحتاج إلى إصلاح وتطهير معنى لا إله إلا الله لهؤلاء جهالهم وعلمائهم، لا إله إلا الله ويدعو غير الله، يذبح لغير الله، يستغيث بغير الله، يطوف بالقبور، يسجد لها، يعتقد في أهلها أنهم يعلمون الغيب ويتصوفون في الكون، لا شك أنهم في وضع رهيب وخطير جدا، ويحتاجون إلى تصحيح عقائدهم.

ما تبدؤهم بالسياسة، لا تبدأهم بالتصوف والخرافات، ما تبدأهم بشيء من هذه التوافه -بارك الله فيكم- ما نقول توافه، والله التوافه في أعمالهم، هذه السياسة التي يدعون إليها خالية من كثير من السياسة الإسلامية، والتصوف الذي يدعون إليه خال من العقيدة، خال من المناهج الصحيحة، مشوب بالشرك والبدع والخرافات، ففاقد الشيء لا يعطيه، الذي لا يعرف معنى لا إله إلا الله، ولا يهتم بلا إله إلا الله، هذا فاسد ولا يمكن أن يصلح غيره، وفاقد الشيء لا يعطيه.

الشاهد أن المجتمعات الإسلامية في كثير من البلدان، تحتاج إلى أن تفهم التوحيد، وتفهم معنى لا إله إلا الله؛ لأن معنى لا إله إلا الله عندهم لا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت إلا الله.

فإذا قلت: يا أخي لا تدعو غير الله، قال: هذا ليس شركا. إذا قلت: لا تدبح لغير الله. قال: هذا ليس شركا، ما هو الشرك؟ قال: أن تعتقد أن فلانا خالق وأنه يرزق، هذا هو الشرك، أما أن تعتقد أن هذا وسيلة إلى الله عز وجل، أدعوه لأجل أن يقربنا إلى الله، يعني مثل قول المشركين ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٣].

أنا غير مرة أبين لإخواننا أن المشركين كانوا يدركون الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، بينما كثير من هؤلاء الجهال لا يفرقون بين توحيد الربوبية ولا توحيد الألوهية؛ بل لا يعرفون توحيد الألوهية، فتوحيد الألوهية عندهم هو توحيد الربوبية، مساكين.

أقول: الكفار إذا سألتهم عن توحيد الربوبية يقول لك: الله هو الخالق الرازق، ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، لا يقولون اللات،

ولا عزي، ولا عيسى، ولا عزيز، الله، يعرفون توحيد الربوبية تماما، ويعرفون توحيد الألوهية ولكن يكابرون لا يريدون الدخول فيه، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥)، [الصفات: ٣٥]، كيف في توحيد الربوبية ما يستكبرون يمشي معك ويمشي قبلك ما يجادلك أبدا، ولا نبي من الأنبياء خوصم في توحيد الربوبية أبدا.

الخصومة بين الأنبياء كلهم وأممهم في توحيد الألوهية فقط، حتى في توحيد الأسماء والصفات ليس فيه خصومة، ولهذا ترى العرب -قوم الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وعلى رأسهم قريش- ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، لا يتردد، وهؤلاء -اللآت والعزى- التي نعبد ما تملك شيئا من هذا أبدا، بس وسيلة إلى الله فقط، لكن تعالى قل لهم: قولوا لا إله إلا الله. يستكبرون ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ (٥) ﴿ص: ١٠﴾، فترى الكفار يفرقون تماما بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، هم مسالمون معنا في توحيد الربوبية، لا جدال ولا خصومة ولا نزاع ولا استكبار ولا عناد؛ ولكن يأتي العناد والاستكبار وسل السيوف والأذى والإرهاب كله من أجل توحيد الألوهية المتمثل في هذه الجملة العظيمة؛ التي مدار القرآن كله عليها والجنة والنار خلقت من أجلها، أهل التوحيد يخرجون من النار بسببها، (لا إله إلا الله) لها أهمية عظيمة، أرسل بها الرسل، أنزل بها الكتب، خلق لأجلها الجنة، ما لها قيمة الآن في قيم المسلمين ما ييغون هذه الأشياء مع الأسف الشديد، حتى معناها ما يكلفون أنفسهم ليعرفوه، فيألي الله المشتكى من علماء السوء، وعلماء الكلام الذين جنوا على الإسلام وعلى هذه الأمة، ففسروا لا إله إلا الله بتوحيد الربوبية: لا خالق، لا رازق، لا محيي، الله موجود، ويؤلفون مجلدات طويلة في إثبات وجود الله، ولا إله إلا الله لا يعرفون معناها، فضيعوا أنفسهم وضيعوا الأمة، وترى هذه البلايا قامت عليها مدارس، ولا تزال قائمة، وتناهض الدعوة إلى لا إله إلا الله بترهاقها وخرافاتها وأساطيرها وبلاياها.

وأصبح حتى توحيد الربوبية وقع فيه الشرك، الذي يعتقد في فلان أنه يعلم الغيب ويتصرف في الكون، هذا شرك في الربوبية، فقاد الزنادقة المدسوسين في الإسلام قادوا كثيرا من عوام المسلمين إلى الشرك في الربوبية بعد أن قادوهم إلى الشرك في الألوهية.

فالدعوة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يجب أن تنطلق من التوحيد، وإذا عرفنا التوحيد لا نشبع منه إلى أن نموت، فلا نكل ولا نمل من دراسة هذا التوحيد، وتفاصيل هذا التوحيد، وأدلة هذا التوحيد، وأحكام ما يضادّه من الرياء والشرك الأصغر والشرك الأكبر، فنحن بحاجة إلى دراسة هذه الأشياء. ولهذا نوح ألف سنة في الدعوة إلى الله، الأنبياء كلهم جاؤوا بلا إله إلا الله إلى أن ماتوا وهم يدعون إلى لا إله إلا الله، رسول الله من أول دعوته إلى أن مات وهو حول التوحيد؛ ثلاث عشرة سنة في مكة يدعوا إلى التوحيد، لم يُشرع له من أساسيات الإسلام بعد التوحيد إلى الصلاة وركعتين ركعتين في مكة، ولما انتقل إلى المدينة وقامت دولة الإسلام شرعت الزكاة والصوم والحج وبعدها تحريم الربا.

الآن البداية في الربا، جهال ما يعرفون لا إله إلا الله، يقولون: الربا حرام، الربا حرام، الربا حرام، أفهموهم التوحيد وبعدها الربا حرام، الله متى أنزل تحريم آية الربا؟ في آخر حياة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الآن نحن نبدأ بالربا، حرب لا نهاية لها، نبدأ بماذا؟ لا حكم إلا لله، القبور تعبد، لماذا لا تستنكر هذا الشرك؟ وتطبق حاكمية الله على هذا الشرك، وتنادي الناس للخروج من هذا الشرك والدخول في حاكمية الله بالتوحيد.

الحاكمية التي ينادون بها حاكمية سياسية؛ يعني تركوا دعوتهم في زاوية من زوايا الإسلام فقط، وأداروا الظهور لأمر عظيم جداً في الإسلام لا تدخل في حساب هذه الدعوة مع الأسف، وتحصل أن هذا الداعية للحاكمية قبوري خرافي، وتحصل أنه يقول بالحلول ووحدية الوجود؛ ضلالات لا أول ولا آخر، ويكفر الذي يخالف الحاكمية، الحاكمية شيء آخر عنده -بارك الله فيكم-، فنصلح عقائد الناس، ونفهم معنى لا إله إلا الله، ونفصل لهم معنى لا إله إلا الله ونظل طول حياتنا على لا إله إلا الله، آخر لحظة من لحظات الرسول وهو يقول: ((لعنة الله على اليهود

والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يَحْذَرُ ما صنعوا. ^(١) ولو لا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً، هذا من كلام عائشة وابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا تكملة الحديث.

الشاهد إن الرسول اعتنى بالتوحيد من أول حياته إلى أن مات، قبل أن يموت بخمس وهو يقول:

((ألا إن من كان قبلكم قد اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنا كرم

عن ذلك)) ^(٢) لماذا؟ لأن الغلو في القبور واتخاذها مساجد والبناء عليها يقود الناس من حيث يريدون أو لا يريدون إلى الشرك بالله عز وجل، فهو يحسم أبواب الشرك، ويسد أبواب الشرك، وهو والله يلفظ أنفاسه الأخيرة كما روى ذلك ابن عباس وعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

فهذه عناية الأنبياء وعناية الرسول الكريم بالتوحيد، وماذا يلقي هذا التوحيد عند الدعوات؟ ماذا يلقي أهل التوحيد من أصحاب هذه الدعوات مع الأسف الشديد؟ وينظرون إلى هذه الدعوة على أنها تفرق الناس وهي دعوة الأنبياء، فإذا ذموها فإنما يذمون دعوة الأنبياء، وهي دعوة القرآن، وهي دعوة محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والله إن من يذم الدعوة السلفية يذمها يذم كتاب الله وسنة الرسول ويذم دعوات الأنبياء من حيث لا يدري المساكين، فنعذرهم لجهلهم، وإلا حرب الدعوة السلفية كفر، كفر لأنها حرب للتوحيد؛ لكننا نقول: جهال ضلال نقيم عليهم الحجة، ثم... وإلا والله أعمالهم هذه كفرية.

فنسأل الله أن ينقذ الأمة من دعاة السوء، ومن هذه الحواجز التي أقاموها في وجه الأمة لأن تأخذ بالتوحيد وتعود إلى ما كان عليه رسول الله وأصحابه.

وأستسمحكم عذرا فإني قد تعبت من الكلام، واكتفوا بما سمعتم، وأسأل الله أن ينفعنا وإياكم ومن تبلغه هذه الكلمة أن ينفعنا جميعا، وأن يأخذ بنواصينا وقلوبنا إلى الحق والهدى، وإلى ما كان عليه رسول الله وأصحابه صلوات الله وسلامه عليه ورَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

(١) البخاري: كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، حديث رقم (١٣٣٠).

مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المسجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور

مساجد، حديث رقم (٥٢٩).

(٢) مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المسجد على القبور... برقم: (٥٣٢).

أسئلة الدرس

سؤال (١٠): يقولون: إن دعوة السلفيين دعوة تقليدية لا تصلح لهذا العصر الذي تنوعت فيه الفتن، فلا بد أن يجتهد في الدعوات في وسائلها وطرقها، ذلك لتنوع المعاصي وغيرها، فكما تنوعت المعاصي لا بد أن تتنوع وسائل الدعوة.

الجواب: هؤلاء مساكين داؤهم وإشكالهم أنهم ما عرفوا دعوة الأنبياء، ويمكن أن نقول: إنهم وإن عرفوا التاريخ لكن ينسون تأريخ دعوات الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حينما يحاربون الدعوة السلفية ويريدون تشويهها، هل هذه المشاكل والفتن ما كانت موجودة في عهد نوح، كان ما موجود من المشاكل والفتن في قوم نوح إلا الشرك فقط وسائر هذه النواحي كلها صحيحة وسليمة ما فيها معاصي ولا فساد ولا شيء؟ يأتي الإشكال أن دعوته ما تصلح؛ لأنها عقيمة وتقليدية، وما تواجه كل المشاكل.

لو واجهنا كل المشاكل إلا الشرك، ماذا قدمنا للناس؟ هناك معاصي، وهناك يعني ما فيه دولة إسلامية، اتركونا نبدأ بهذا الأشياء، ثم إذا وصلنا ننزل التوحيد من أعلى القبة، وصلوا إلى القبة ونزلوا الشرك ونزلوا الدعوة إلى وحدة الأديان، وما زال الناس وما زالوا ناسيين دعوة الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فالدعوة السلفية هي الدعوة الصحيحة على حسب الأوضاع، إذا كان هناك شرك طاغ وبدع نحارب الشرك والبدع قبل المعاصي؛ لكن يكون التركيز على طريقة الأنبياء على الشرك؛ لأن الأنبياء قد يلتفتون أحيانا إلى بعض الأشياء؛ لكن الهدف الأساسي في دعوتهم، القضاء على الشرك وإقامة التوحيد على أنقاضه.

فالدعوة السلفية هي على بصيرة، وهي على طريقة الأنبياء، وأهم المهمات عندهم التوحيد، فهذا الذي يوحد ويلقى الله بقراب الأرض معاصي، لا بد له أن يخرج من النار، وهذا الذي يأتي بحسنات كالجبال لكن ما عنده توحيد، ما مصيره؟ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ (٢٣) [الفرقان: ٢٣]؛ لأن الأعمال لا تقبل إلا بهذا التوحيد، يأتي بأمثال الجبال من الحسنات والخيرات والمبرّات والبر والصلات... إلخ؛ ويمكن يحوب الدنيا بهذه الأموال؛ لكنه مشرك كيف النهاية؟ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾، ((لو أتيتني بقراب الأرض خطايا

ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيتك بقراهما مغفرة)^(١) بسبب التوحيد نحن لا نشجع الناس على فعل المعاصي؛ ولكننا نبين أهمية التوحيد، ونبين فساد دعوات هؤلاء البلهاء المغفلون الذين ما يدركون ما هي الأخطار، ما أدركوا خطر الشرك، ما أدركوه ما فقهوا دين الله ((**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**))^(٢) لو فقهوا دين الله، لو فقهوا كتاب الله، لو فقهوا دعوة الرسل، فقهوا دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام، عرفوا تأريخه واهتمامه بالتوحيد، لما تفوهوا بمثل هذه السفاهات والتفاهات التي لا تصدر إلا ممن لم يعرف دعوة الرسل الكرام عليه الصلاة والسلام.

فهذا الطعن -يا إخوانه- من حيث لا يدرون، يعني لما تقرأ في دعوات هؤلاء ما شاء الله تهاويل وتهاويل، ولما تقرأ تجد دعوات الأنبياء صغيرة أمام هذه التهاويل، كل هذه التهاويل عندهم زبد يذهب جفاء، وتبقى الحقائق حقائق الأنبياء إنما تملأ الأرض والسماء ولو كانت خاصة بالتوحيد، ولو وضعت السموات بما فيهن غير الله والأرض في كفة ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله، افهموا أهمية لا إله إلا الله يا مساكين.

سؤال (٥٢): هل صحيح أن الخوارج في عهد الصحابة مضطهدون سياسياً؟

الجواب: إي والله المنافقون مضطهدون عقائدياً ودينيّاً؛ يعني لو جهرُوا بما عندهم من الكفر لكان مصيرهم السيف، لا شك أن الإسلام فيه قوة وفيه عزة وفيه حماية للمجتمع، كيف يكون هؤلاء كالسوس في المجتمع الإسلامي ينخرون فيه بشبهاتهم ونفاقهم وخبثهم وشرهم، هذا أي دولة الآن على وجه الأرض مهما تميّعت أترضى أن يكون هناك من يعادي نظامها، ويحاول إسقاطها، والله ما تواجه هؤلاء على سماجة سياستها إلا بالسيف.

فكيف بالإسلام دين العزة ودين النصح ودين الحق، كيف يرضى للمنافقين أن يعيشوا ينخرون في المجتمعات الإسلامية بنفاقهم وضلالهم.

^(١) سنن الترمذي: كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، حديث رقم (٣٥٤٠). قال الشيخ الألباني: صحيح.

مستدرك الحاكم: كتاب التوبة والإنابة، حديث رقم (٧٧٦٨)، وصححه ووافقه الذهبي.

^(٢) البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، رقم الحديث: (٧١).

مسلم: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم الحديث (١٠٣٧).

الخوارج في المجتمع الإسلامي كانوا مضطهدون!! الخوارج هم من سلوا السيوف على المسلمين، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، الخوارج هم البغاة على المجتمع الإسلامي وعلى حكام المسلمين.

كيف يواجههم المسلمون إذا سلوا السيوف؟ كيف يواجههم المسلمون إذا كفروهم ونابذوهم وجعلوهم أحق من الوثنيين؟ بماذا يواجههم هؤلاء بالغباء والبلاهة؟ لا يواجهوهم بما يستحقون. ولهذا الرسول الحكيم الرؤوف الرحيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذي يحمي المجتمعات الإسلامية من أهل الشرور والبغي تحدث كثيرا عن الخوارج، وأنهم شر من تحت أديم السماء، ((**تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ** أمام صلاتكم، وقراءتكم أمام قراءتكم، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، أَيْنَمَا وَجَدْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، لَوْ أَدْرَكْتُمُ لَقَتَلْتُمُ قَتْلَ قَوْمِ عَادٍ)) وفي رواية: ((**قَتْلُ قَوْمِ ثَمُودٍ**))^(١) في رواية قال كذا وفي رواية قال كذا فهم شر وباء على الأمة وخطر، كيف يواجههم المسلمون، وهم ينتهكون الأعراض، ويسفكون الدماء، ويكفرون المجتمعات الإسلامية، ماذا يواجهوهم؟

يبدؤون بهم قبل كفر، ولهذا علي بدأ بهم قبل الكفار، وأجمع الصحابة على قتالهم؛ لأن في قتلهم وتطهير المجتمعات منهم راحة وسلامة وسعادة للأمة الإسلامية، وفي وجودهم شقاء.

أنظر الجزائر ماذا حصل فيها أكثر من مائتي ألف قتيل.

مرة واحد يسألني ماذا نفعل بالطواغيت؟

قلت: أي طواغيت؟ قال: الحكام.

قلت: أي حكام، قال: نحن نقاتل الحكام.

قلت: كم قتلتم منهم؟ قال: ما قتلنا أحدا.

قلت: من تقتلون أنتم؟ تقتلون النساء والأطفال، قال: نعم.

(١) البخاري: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، برقم: (٦٩٣٣).

مسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم: (١٠٦٤).

قلت له: هَذَا جهاد إسلامي!! هل أنتم الآن لما تقتلون الشعب الجزائري تفعلون كما فعل الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأصحابه، قولوا: لا إله إلا الله، هل أنتم تدعونهم إلى لا إله إلا الله، قال "لا".

قلت: يا أخي، إذا كنتم تريدون أن تجاهدوا جهادا إسلاميا، عندكم قوة، عندكم دول أوربا: فرنسا، إيطاليا، إسبانيا، ازحفوا بجيوشكم إلى أي دولة، قولوا: ادخلوا في الإسلام قولوا: لا إله إلا الله، إذا أبوا يدفعون الجزية، إذا أبوا يكون القتال؛ لكن يكون قتالا شريفا ما تقتلون الأطفال والنساء والشيخوخ والعجزة، من يقاتلكم قاتلوه، وبعده ما فيه بغي بارك الله فيكم وظلم.

قال: جزاك الله خيرا.

الخوارج هَذَا حالهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، الخوارج هَذَا الوصف سيوفهم مسلولة على المسلمين وفتنتهم على المسلمين، والكفار في راحة منهم، وكثير منهم يعيشون في بلاد الكفار، ويحاربون المسلمين من عواصم الكفر، يكفرونهم ويؤلبون عليهم، فهم وبال وبلاء على الأمة، هم ضاقت بهم دول الإسلام، أبوا أن يعيشوا إلا في عواصم الكفر يخضعون للقوانين الكافرة، ويأخذون الجنسيات الكافرة، ويعاهدون على الخضوع لهذه القوانين وعلى الولاء لهذه الدول، فصاروا شر من الخوارج الأولين بمراحل.

الخوارج الذين أمر الرسول بقتلهم وقتلهم الصحابة، هؤلاء شر منهم تركوا بلاد الإسلام وذهبوا إلى بلاد الكفر، كيف تتركون بلاد الإسلام وتذهبون إلى هناك، تخضعون لفرنسا وبريطانيا.. وتذلون أنفسكم، وتذلون الإسلام، وتعطون الولاء الأكبر لهؤلاء الأعداء، فالذي يعيرون به حكام المسلمين هم واقعون في شر منه، فهم شر على هذه الأمة، ولهذا قال الرسول فيهم: **((شر من تحت أديم السماء))**^(١) نسأل الله العافية

نكتفي بهذا القدر، بارك الله فيكم، ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم لاتباع منهج الأنبياء عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والدعوة إلى ذلك.

(١) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ((ومن سورة آل عمران))، حديث رقم (٣٠٠٠).

سنن ابن ماجه: المقدمة، باب في ذكر الخوارج، حديث رقم (١٧٦).

قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

ونسأل الله أن يخلص المسلمين من ويلات البدع وأهلها، ومن ويلات الضلالات الخارجية والرافضية والاعتزالية والجهمية والأشعرية، حتى لا يبقى المسلمون إلا على البيضاء التي تركهم عليها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

نسأل الله أن يحقق لنا ذلك، إنّ ربنا لسميع الدعاء

